التداخلية بين العلوم في التراث العربي

الدواعي والأسباب والتجليات.

أ.محمد بنعمر

فريق الاجتهاد ومستقبل الدين.

مركز البحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية.

وجدة المغرب.

مقدمات أولية:

من الظواهر الثقافية والفكرية التي تستوقف الدارس والباحث،والمتابع لمسار التراث العربي الإسلامي في تطوره التاريخي، هو ذلك التداخل القائم بين العلوم التي نشأت في أحضان هذا التراث، وتطورت فيه . حيث إن العلاقة التداخلية، والتكاملية،كانت هي السمة البارزة، والغالبة، والمهيمنة، والحاضرة بين جميع العلوم التي نشأت، وتطورت،ونمت في أحضان الثقافة العربية الإسلامية..[1].

وهذه التداخلية القائمة بين العلوم الإسلامية،كشف عنها كثير من العلماء،وأقرها عدد من الباحثين،وأثبتها مجموعة من المشتغلين بالتراث العربي الإسلامي، في سياق تدارسهم ، وحديثهم ،في موضوع تصنيف العلوم،وترتيبهم

---

[1]-يراجع: منهجية التكامل المعرفي:مقدمات في المنهجية الإسلامية للدكتور حسن ملكاوي. منشوران المعهد العالمي للفكر الإسلامي: "2012.

للعلوم التراثية،من حيث الحاجة ،والمنفعة،والأثر التي تؤديها تلك العلوم. وخاصة في الخدمة التي تؤديها العلوم بعضها لبعض،وبيانهم لمكانة العلم في الإسلام،[1] وذلك عن طريق الفصل بين علوم الوسائل،وهي العلوم المقصودة لغيرها،لا لذاتها،والتي تنعت بعلوم الآلة،لأنها آلة لغيرها،من العلوم.. وعلوم المقاصد ،وهي العلوم المقصودة لذاتها،لا لغيرها .فقد ذكر ابن حزم أن:" العلوم كلها كان بعضها متعلق ببعض ، ومحتاج بعضها إلى البعض...".[2].وهذا التداخل بين العلوم،هو الذي استوقف كثيرا من الدارسين،وأثار عددا من الباحثين. وجعل الباحثين يتوجهون نحو البحث عن الأسباب،والتنقيب عن الدواعي،والعمل على رصد النتائج،ومتابعة الآثار،والكشف عن البواعث،التي كانت من وراء هذا التداخل ،والحاضر بقوة،والواقع بشكل جلي في العلوم التراثية ،ويقرون في نفس الوقت،بأن التداخلية بين العلوم،كانت من ابرز الخصائص المميزة،للعلوم في التراث العربي الإسلامي...[3]

وأنها وصف علمي مشترك بين جميع العلوم التراثية ،بحيث لا يمكن التنكر،أو التغاضي عن هذا المنهج التداخلي القائم في علوم التراث...ولابد من اتخاذه منطلقا،واختيارا،وممارسة في أية مدارسة للتراث العربي الإسلامي...

ومن أبرز الباحثين الذين اختاروا الاشتغال بمرجعية التداخلية في العلوم،من أجل مقاربة هذه العلوم،ومن أجل الكشف عن التطور الحاصل في آلياتها المنتجة لها،أو في معرفة النسق المعرفي المتحكم فيها،وتمثل الآليات،والبنيات المشكلة والمنتجة لها،ومعرفة ما هو مشترك بين هذه العلوم،الدكتور طه عبد الرحمان، الذي صرح بأن التداخلية بين العلوم،كانت

[1]- يراجع :مكانة العلم في الثقافة العربية للدكتور سالم يفوت .دار الطليعة بيروت.2006.

[2]- مراتب العلوم لابن حزم الأندلسي : 89/4.

[3]-**يراجع: أعمال** ندوة التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية.دار الحديث الحسنية فبراير:2009.

من أبرز الآليات التي اتخذها،واستند عليها،واعتمدها،واستعان بها في مقاربته للتراث العربي الإسلامي قي مضامينه، وآلياته، ومفاهيمه ،وفي ممارسته، ومدارسته للعلوم التراثية، أو في رصده لتاريخ العلوم في هذا التراث. كما صرح بالتزامه بالتداخلية من حيث هي منهج معتمد،في مدارسة التراث العربي الإسلامي، وفي البحث عن الآليات،والمناهج والأنساق المنتجة للمضامين المحمولة،والمركبة لعلوم هذا التراث....

فلقد صرح علنا بقوله:"نقول نحن بالتداخلية، والتكاملية، بين العلوم، ويقول خصمنا بالتقاطعية، والتفاضلية في علوم التراث.."[1].

ويقول في موضع أخر في كتابه :" تجديد المنهج في تقويم التراث:" ولقد نحونا في تقويم التراث،منحى غير مسبوق ،ولا مألوف ،ولا معهود .فهو غير مسبوق،لأننا نقول بالنظرة التكاملية.وحيث يقول غيرنا بالنظرة التفاضلية،وهو غير مألوف.لأننا توسلنا فيه بأدوات ماصولة ،وحيث توسل غيرنا بأدوات منقولة..."[2].

لقد ظل الدكتور طه وفيا لهذا المنهج،محددا إياه بان التكاملية في الأنساق المعرفية الإسلامية،تعني أن الكل متكامل لا يقبل التجزئة،و لا يقبل التفرقة في نكوناته و لا التقسيم في قطاعاته .وعليه لا بد من استخراج المحددات المعرفية،وضبط الأنساق والمنهجية لهذه التداخلية القائمة في العلوم الإسلامية...[3].

وفي هدا السياق المتعلق بالتداخلية بين العلوم ،وفي هذا الاختيار القائم على مقاربة التراث بالآليات المؤسسة على التداخلية،قسم الدكتور طه عبد

[1]-هده العبارة تكررت عند الدكتور طه عبد الرحمان في كتابه تجديد المنهج فني تقويم التراث:71.

[2]-تجديد المنهج في تقويم التراث :12

[3]-حوارات من اجل المستقبل :28

الرحمان هذا التداخل الحاصل بين العلوم في التراث العربي الإسلامي ،إلى قسمين أساسين اثنين وهما:

1- التداخل والتكامل الداخلي الذي يحصل بين العلوم التراثية الداخلية بعضها بعض ،بدون تأثير للعلوم المنقولة إليها،أو الدخيلة عليها من ثقافات أخرى1..قال الدكتور طه عبد الرحمان"اعلم أن التداخل تداخلان اتنان احدهما، داخلي يحصل بيم العلوم التراثية الاصيلة بعضها مع بعض ،والثاني خارجي يحصل بين هذه العلوموغيرها من العلوم المنقولة.[1]

ومن قبيل التأثير الذي مارسته العلوم الموصولة على العلوم المنقولة، ذلك التأثير الذي مارسه علم أصول الفقه على علم النحو،وعلم العربية على علم أصول الفقه....فلا أحد ينكر مدى التأثير الذي مارسه علم أصول الفقه على علم النحو،علم العربية على علم أصول الفقه،خاصة في جهة المفاهيم والمصطلحات،بحيث راجت ،وشاعت كثير من مفاهيم الأصوليين بين اللغويين والنحاة،رغم انها اتخذت،وحملت معنى غير معناها الأول التي كانت عليها في أصلها الأول....[2].

من ذلك العلة والتعليل والقياس،والاستحسان،والوضع ،والحمل ،والاستعمال التي هي مفاهيم في أصلها ومرجعيتها تتمي علم أصول الفقه من حيث النشأة والتطور،والأصل،لكن اتخذت ،وحملت معنى مغايرا عن معناها الأصلي عندما رحلت إلى علم النحو....[3]

ففي هذا الاستقبال،والاحتضان والانتقال إلى العلم الجديد علم النحو،اتخذت هذه المفاهيم معاني جديدة غير معانيها المعهودة،والأصلية التي كانت عليها في أصلها الأول...

[1]-حوار من اجل المستقبل :28

[2]-تقويم الفكر النحوي لأبي علي المكارم:123

[3]- يراجع كتاب : الأصول للدكتور تمام حسان:22

2- التداخل والتكامل الخارجي،وهو الذي يحصل بين العلوم الماصولة الأصلية،والعلوم المنقولة،الوافدة عليها من ثقافات أخرى،ذلك أن الحضارة العربية الإسلامية استوعبت تراث الحضارات الأخرى ،ووجهته وفق ما يستجيب لها،ويلبي حاجياتها بما يتوافق مع اختياراتها ،وتوجهاتها ،،من ذلك تداخل علم أصول الفقه مع المنطق،وعلم النحو مع علم المنطق في القرن الخامس الهجري...[1]

وهذا التلاقي يندرج في المرحلة المسماة بمرحلة المتأخرين،لان المجال التداولي لهذه المرحلة كان أكثر استجابة في تقبل هذه العلوم ،وحمل العلوم المنعوتة بالدخيلة .وكان هذا المجال بحاجة ماسة ،وضرورية ،إلى علم المنطق من اجل تصريفه،ودمجه في مجموعة من العلوم ... بحكم الخاصية المعيارية الحاكمة لهذا العلوم.،فهو في هويته علم ضابط للاستدلال،مبين لأشكال البرهان،مسدد للبيان..... .

من ثم فإن حضور المنطق بين علماء الأصول خاصة،جعل هذا العلم يكتسب دعامته،و يثبت مشروعيته،من خلال كونه العلم الراشد، والخادم، والمساعد ،والهادي إلى تشييد الاستدلالات،وبناء الأنساق المنتجة للمعرفة،وتركيب البراهين. والفصل بين الصحيح والفاسد من أشكال الاستدلال،وبيان الطريق الهادي إلى المسالك الصحيحة المعتمدة في هذا الاستدلال،والمعينة على البرهان،و تجلية الطرق والمسالك المساعدة على تفهم

[1]-تجديد المنهج في تقويم التراث:76.

-شكلت علاقة المنطق بالنحو سؤالا إشكاليا بين الدارسين،كما كان هذا السؤال موضوعا لعدد من الاطاريح الجامعية في المغرب.،وخارجه ...

-يراجع البحث المفصل الذي كان في موضوع:النحو العربي وصلته بالمنطق اليوناني للمفرئ ابوزيد مجلة المنعطف المغربية العدد:5-6-7السنة:1992-1993

-المائدة المستديرة التي نظمتها كلية الآداب الرباط سنة:1981وشارك فيها عدد من اللغويين الكبار:الجابري-الحبابي-الفهري الفاسي-المتوكل-عبده الراجحي-الادريسي.

الخطاب الشرعي. فهو الأداة التي تجنب صاحبها الوقوع والسقوط ،في الاستدلال الفاسد،والأداة المعينة على التمييز بين البراهين الصحيحة من البراهين الفاسدة ،وتبعد المستدل عن الخطأ في الاستدلال،وهو من جهة أخرى المعين على ضبط الأسماء في مسمياتها،وبساعده على استدراك الخطأ في بناء الأحكام.... .[1].

لقد أراد علماء الإسلام للمنطق،أن يعمل على ضبط المفاهيم ،و ذلك بمعرفة الأسماء في وقوعها على مسمياتها ،وان يرفع الغموض،ويدفع الالتباس الذي قد يقع في هذه الأسماء في دلالتها على مسمياتها ..[2].

إضافة إلى هذا،فان للمظق له وظيفة برهانية،تحدد عند المناطقة في ببيان طرق البراهين المعتمدة ،والاستدلالات الصحيحة...

فالمنطق بهذا الوصف،و بهذا النعت،هو آلة لغيره من العلوم على حد تعبير أبي نصر الفارابي في كتابه إحصاء العلوم[3].وهذه الآلية التي يتصف بها علم المنطق هي التي تجعل فائدته،وآثاره لا تحقق إلا بتصريفه في مجموعة من العلوم.....[4]

ومما يذكره الدكتور طه عبد الرحمان في حديثه عن تقارب العلوم الماصولة مع العلوم المنقولة والوافدة على الثقافة العربية الإسلامية مثل المنطق .هو الصعوبة المعرفية في تقويم الدارس للتراث العربي الإسلامي ،ما لم يتم الاعتراف بشكل صريح و جلي بهذه التداخلية القائمة ،والحاضرة بين هذه العلوم التي نشأت في أحضان التراث العربي الإسلامي ....

[1]-للوقوف على أهداف المنطق يراجع:المنطق للابهري:32.

[2]-التقريب لحد المنطق :94/1

[3]-إحصاء العلوم للفارابي :68

[4]-هذا ما ذكره ابن حزم في كتابه التقريب،يراجع كتاب التقريب لحد المنطق:122،ومقدمة التقريب بتحقيق احسان عباس

بحيث يصعب على الباحث أن يقوم إنتاج أي احد من العلماء الإسلام،أو احد حكمائهم مال لم يقع التسليم،والاعتراف مسبقا ،ومبدئيا بان إنتاجه العلمي ،والفكري قدت تداخل مع اقرب العلوم إليه،تأثرا وتأثيرا ،خاصة العلوم المتداولة في عصره ،وفي زمنه،والقريبة من المجال التداولي الذي كان نشتغل فيه تلك العلوم،خاصة العلوم التي شاعت في عصره،وذاعت في زمنه ،ومنها خاصة علم المنطق...[1].

فلا بد من أن يضع الدارس هذا الاعتبار المنهجي،وهذا التأثير الذي مارسته العلوم الموصولة على العلوم الماصولة في تقويمه للتطور الذي مس العلوم التراثية في مسارها،وفي تاريخها الطويل سواء في تفاعلها الداخلي،أوفي تفاعلها الخارجي....

وبحكم أن الحاجة إلى المنطق،ظهرت متأخرة،مقارنة مع الحاجة إلى العلوم الأخرى، لعدة اعتبارات علمية، ومعطيات ثقافية،وأسباب حضارية،وتاريخية،ذلك أن الحقل المعرفي الإسلامي في بدايته ،وفي نشأته الأولى، كان همه الأول هو التوجه نحو الاشتغال على النص توثيقا ،وتحقيقا، وبيانا ،واستمدادا...[2]وذلك بتثبيت مجموعة من المعارف،و تشييد مجموعة من العلوم الموجهة مباشرة،وأساسا إلى خدمة النص القرآني خاصة في مستوى البيان،والفهم،والاستمداد...[3].

[1]- مشروعية المنطق للدكتور طه عبد الرحمان .ع1-س1-1989.ص:92.

[2]-يراجع دراستنا:الدرس المنطقي في التراث العربي الإسلامي،الفصل الخاص:الحاجة إلى المنطق وسؤال المشروعية في كتابنا: ابن حزم واراه الأصولية.دار الكتب العلمية بيروت 2009.

[3]-تاريخ المنطق عند العرب .للدكتور محمد مرسلي .ضمن كتاب : كيف نؤرخ للعلم. منشورات كلية الآداب الرباط العدد:58.السنة:1989 .

وهذا المعطى هو الذي يفسر لنا ريادة،وأسبقية علماء الإسلام في علوم الفهم،وعلوم البيان.وهي العلوم التي تسعى دائما إلى بيان الخطاب،وفقه النص الشرعي.... بحيث اتجهت جميع العلومالى الاشتغال على المعنى من حيث التشكل،والبناء،والاكتساب والتحصيل في الخطاب الشرعي[1].

فلقد اتجهت العناية في البداية إلى هذه العلوم المتعلقة بالفهم ،والبيان والاستمداد وكانت هذه العناية في وقت مبكر،لأن الحاجة كانت ماسة،وضرورية إلى فهم النص القرآني من حيث الاستمداد، والتلقي، والفهم... لأنه هو المرجع في النكاليف التي جاء بها الإسلام...

فلقد شكل النص الشرعي مرجعية عقدية وأخلاقية وتشريعية عليا للأمة المسلمة،ترجع إليه في كل أمورها،وتحتكم إليها في كل ما تنازعت فيه ،أو ما وقع لها من قضايا ونوازل خاصة النوازل المستحدثة .

فهذه الحاجة في اكتساب الدلالة في النص، جاءت بحكم التحول الذ ي مارسه النص القرآني على الحضارة العربية الإسلامية،إذ اتجهت هذه الحضارة في الانشغال بعلوم الفهم،والبيان بشكل كبير، ومثير،هدفها من هذا الاشتغال هو تملك المعنى في النص المؤسس...وهو المعطى الذي يفسر لنا الريادة العلمية لعلماء الإسلام في علوم الفهم،وعلوم البيان ،وعلوم التفسير خاصة.وهي العلوم التي تسعى دائما إلى تحقيق هدف واحد،ومشترك وهو بيان الخطاب،وفقه النص الشرعي... وهذا شيء معترف به بين المشتغلين والمتابعين لعلوم التراث العربي الإسلامي..

[1]-احتار المناصرون للقراءة المصطلحية للتراث هذا التوجه وهو ان التراث عيب علوم الفهم، أي العلم الضابط لبيان القرآن الكريم يراجع ورقة المؤتمر آفاق خدمة النص والمصطلح في الدراسات القرآنية:فاس ابريل 2013

من هذا المنطلق،فان صفة البيان ،والاشتغال على استمداد المعنى من النص،نعد من أبرز الخصائص المميزة للعلوم التي نشأت،ونمت في أحضان التراث العربي الإسلامي[1].

بحيث شكل طلب المعنى من النص مرجعا للنظر،ومجالا لأعمال للفكر،واختيارا في التفسير،مع الانطلاق في هذا الطلب من الاستعانة بالقواعد اللغوية،والأصولية التي اشتغلت على أشكال صناعة المعنى،واستمداده من النص القرءاني....

وهذا مؤشر قوي على أن فهم الشريعة الإسلامية لا يتيسر فهمها،والتمكن من المعنى المحمول في نصوصها،إلا بمجموعة من العلوم المتداخلة،والمتشابكة،خاصة تلك العلوم التي تشتغل غب سعيها إلى اكتشاف حقيقة المعنى المودع في النص الشرعي ....

من هذا المنطلق ،نقول إن صفة البيان ،تعد من ابرز الخصائص،والصفات المميزة للعلوم التي نشأت في أحضان التراث العربي الإسلامي...[2].بحيث كانت وجهة العلوم المسماة بعلوم البيان...

وهذه المعطيات من حيث هي وصف مشترك جامع،تكشف لنا أن الحاجة إلى المنطق جاءت متأخرة،مقارنة مع الحاجة إلى العلوم الأخرى. بحيث لم يتجه البحث في المنطق إلا في حدود أواسط القرن الرابع الهجري ،عندما اتجه البحث والاشتغال على المنهج الضابط للمعرفة،والناظم لها،والمسدد لها،والمجلي لآلياتها. لان المنطق هو في حد ذاته هو آلة لتحصيل المعارف،وتسديد النظر في اكتساب تلك المعارف،والميزان العاصم،والواقي

[1]-يراجع لعمال الندوة:التأويل : سؤال المرجعية ومقتضيات السياق:2014.

[2]-يراجع لعمال الندوة:التأويل : سؤال المرجعية ومقتضيات السياق:2014.

للعقل من الزلل ،[1] بواسطته يعرف الصحيح من الفاسد من الأفكار[2].فهو آلة لكثير العلوم،بل هو مقدمة العلوم كلها كما قال الإمام الغزالي ،ومن لا يحيط به،وبأنساقه فلا ثقة بعلومه[3].

هذه المؤشرات باجمعها تفضي بنا إلى الإقرار،والاعتراف بان الفرن الرابع الهجري شكل منعطفا في تاريخ علم المنطق في الثقافة العربية الإسلامية،بحيث كان المنطق في أصله،ومنشئه مرتبطا بالحكمة والفلسفة،تم وقع تحولا جذريا في وظيفته،ومهمته بحيث انتقل إلى خدمة العلوم الإسلامية الساعية إلى الاشتعال على البيان.[4]

2-أسباب التداخلية بين العلوم:

ومن الأسباب التي ساهمت في هذا التداخل الحاضر بين العلوم ،هو مركزية،ومحورية النص القرآني في ا لثقافة العربية الإسلامية،فمن أبرز هذه الأسباب التي ساهمت في هذه التداخلية،هو حضور النص،ومحوريته في التراث العربي الإسلامي ،وهو الحضور الذي كان متجسدا بقوة ،ومتجليا،بشكل ملفت للانتباه ،في جميع العلوم الحاضرة ،والقائمة في التراث العربي الإسلامي... ..

ففد تمخض عن مركزية النص القرآني في الثقافة العربية الإسلامية،ومحوريته في هده الثقافة،أن قامت شبكة متكاملة،ومتداخلة من العلوم،من فقه وأصول ،وحديث وسنة ،وتفسير وقراءات،وغيرها من العلوم

[1]-هذا التعريف اختاره كثير من المناطقة العرب والمسلمين .يراجع مادة المنطق في موسوعة مصطلحات علم المنطق عند العرب:1013.

[2]-المنطق للابهري:24.

[3]-المستصفى للغزالي:1-10

[4]-ما حد في تعلم المنطق للدكتور محمد مرسلي ضمن كتاب: مؤسسلا العلم والتعلين في الحضارة الإسلامية،كتاب من منشرات كلية الآداب الرباط:

الشرعية،بالإضافة إلى علوم الآلة،وهي علوم العربية التي تعرف بعلوم المساعدة،من نحو،وصرف،وتصريف ومعجم ،وفقه لغة ،وبلاغة،والتي لها حيّز واسع، وحضور قوي، وتواجد معلوم،في مباحث العلوم الشرعية...

فما من علم إلا،وكان القرءان الكريم،هو المحور الذي يتحرك حوله هذا العلم .وهذا الأمر ينطبق على مختلف فروع المعرفة الإنسانية التي ظهرت في الثقافة العربية الإسلامية،وتطورت في أحضانه ..فمدار العلوم الإسلامية كلها،كان هو النص المؤسس .وهو القرءان الكريم مما جعل البحث في أي علم من العلوم الإسلامية يشكل ميدانا فسيحا،و فضاء واسعا ،و محورا متشابكا،ومتداخلا بين عدد من العلوم .وهو مما انعكس أثره على تطور المعرفة في الثقافة العربية الإسلامية .

فما يميز العلوم الإسلامية في الحضارة العربية الإسلامية،هو أنها تستقي مادتها، ومكوناتها، وعناصرها من النص المؤسس لها وهو القرءان الكريم والسنة النبوية..

من هنا وجب الإقرار،والاعتراف،وبدون تردد،بان هناك خلفية دينية ساهمت بشكل مباشر،في تشكيل العلوم،وفي تطورها،و في نموها ،وفي ارتقائها من حال إلى أخر...[1].

لقد ظل القرآن هو النص المؤسس للحضارة العربية الإسلامية،والموجه لها . فقد نشأت العلوم انطلاقا من هذا النص العظيم، تخدمه، وتفسره،وتستنبط منه، ونشأت مع ذلك علوم أخرى حوله ،نتيجة تفاعل هذه العلوم مع غيرها من علوم الأمم الأخرى بسبب الفتوحات وغيرها. فتكوّن من كل ذلك تراث الأمة الذي يملأ خزائن الدنيا شرقا وغربا.

ومن ثم فإن ما عني به علماء الإسلام هو تشييد علوم البيان ،والفهم وهي العلوم المؤدية إلى لفهم النص الشرعي،عن طريق وضع الضوابط،وإرساء

[1]-المعنى في تفسير الطبري :22

الشروط،والقيود المعينة على الفهم ،والمساعدة على تمثل المقاصد اللغوية والشرعية المحمولة في النص .....

إن السعي في هذه الجهود كان هو تأكيد قصدية،البيان و ا لوضوح التي تعد من ابرز خصائص البيان القرءاني...فالنص القرءاني يعلن عن نفسه بشكل صريح ،وواضح،وعلني انه نص مؤسس على البيان،والوضوح...وان المتلقي لهذا النص لا يستغلق عليه أو يستشكل عليه التلقي لمعانيه..[1].

وهذا يعني أن الفهم الذي اشتغل عليه علماء الإسلام كان أساسا موجها إلى فهم النص الشرعي،وتجلية معانيه،وتمثل مقاصده،من اجل تنزيل أحكامه على ارض الواقع....

بحكم هذه الوجهة في الاشتغال على البيان وتجميع علوم البيان في مدارسة القرءان ،فإن الممارسة المنطقية توجهت إلى خدمة هذه الجهة،أعني جهة البيان .وهذا الاختيار في توجيه المنطق لخدمة جهة البيان والتفسير،قد مثلها كثير من المناطقة المسلمين،و على رأسهم أبي نصر الفر ابي في القرن الرابع الهجري،وابن حزم الأندلسي في القرن الخامس الهجري.....[2]

فقد كان علماء الإسلام على وعي بالصلة المتبادلة بين القرآن الكريم والعلوم الخادمة له.فهو نص بحاجة إلى علوم اللغة العربية من أجل تفهم معانيه،ولعل هذا المعطى هو الذي حذا بعلماء الإسلام إلى توظيف نتائج ومناهج العلوم المختلفة ،واستثمارها من أجل مقاربة النص القرآني.....

[1]-المرجعية والسياق وصراع التأويلات للدكتور عبد المجيد الصغر:مجلة التأويل العدد:1-السنة:2013.

[2]-أنجز الدكتور طه عبد الرحمان دراسة مفصلة على المشروع المنطقي عند ابن حزم.

-يراجع اليات التقريب المنطقي عند ابن حزم في كتابه:تجديد المنهج في تقويم التراث للدكتور طه عبد الرحمان:287

3-النص ومرجعية التكامل :

ومن هنا نقول أن مما ساعد على هذا التكامل،والتواصل بين هذه العلوم،بجميع فروعها،وأقسامها أصلية كانت أو خادمة للأصل نقليه كانت أم عقلية هو وحدة الإطار،و وحدة المرجع،والهدف الذي يجمع هذه العلوم. إذ التحمت هذه العلوم بمجملها،وفي اتجاه واحد،وفي اختيار واحد مشترك من اجل خدمتها للقران الكريم توثيقا،واستمدادا وبيانا،وفهما ...فقد اتجهت كل العلوم نحو القرءان الكريم بيانا واستنباطا واستمدادا وتفسيرا وتأويلا وتوثيقا،وتحقيقا وقراءة...[1].ذلك آن القرءان –كما قال ابن جزي الكلبي –كان هو المقصود بذاته،وسائر العلوم أدوات تعين عليه أو تتعلق به،أو تتفرع عنه...."[2].

هذا الأصل المعرفي الثابت،هو ما جعل كثيرا من الدارسين يرون أن عطاء الفكر العربي الإسلامي ،وإبداعه،إنما نشا أساسا من خلال تعامله المباشر مع النص القرآني.وهو التعامل الذي أدى إلى تشكل ،وتكون كثير من للعلوم التي اختارت الاشتغال على القرءان الكريم .وهو الأمر الذي يجعلنا ننعت الثقافة العربية الإسلامية بأنها ثقافة نص،محورها،ومرجعها النص..... و هذا ما يفضي بنا إلى القول،والاعتراف المبدءي بأن هناك خلفية دينية تحكمت ،وأثرت في توجيه الدراسات اللغوية والقرءانية. وجعلت العلوم على اختلاف تخصصاتها،ومنازعها ،وتوجهاتها تتجه نحو خدمة النص القرآني[3]... في جميع

---

[1]- يراجع: دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان. للدكتور محمد المالكي: ص:21 وهو من منشورات وزارة الأوقاف المغربية.2000.

[2]-مقدمة كتاب التسهيل لعلوم التنزيل :5/1

[3]- جهود الطبري في دراسة الشواهد الشعرية للدكتور محمد المالكي:12.منشورات كلية الآداب فآس المغرب :1994 .

مستوياته ومناحيه،ومكوناته ،خاصة في مستوى التوثيق،والتحقيق.أو في مستوى الاستمداد،واستخلاص المعنى،والنظر في النص..

من هنا كان المستوى الغالب في هذا التعامل مع النص مباشرة،هو أن إنتاج المعرفة الخادمة للقرآن،كان ينطلق من هذا الثابت وهو العلم باللسان العربي،من حيث هو ثابت أساسي،ومكون رئيسي في إنتاج هذه المعرفة .بحيث لا يستطيع أي احد أن يعرف المعنى المودع في النص،أو أن يحصل على هذا المعنى،أو أن يكتسبه من دون هذه المعرفة ،خاصة إذا كان هو جاهلا باللسان العربي،لأن هذا الجهل من شأنه أن يقضي به إلى عذة ا خطا،،و يبعده عن الاقتراب من المعاني المحمولة،والمقصودة في النص الشرعي[1].

إن هذه التداخلية القائمة بين العلوم،من حيث هي مكون من مكونات التراث العربي الإسلامي،قدر محتوم لا مفر منه،بحيث يجب على الدارس،والباحث،والقارئ للتراث العربي الإسلامي،أن يتعرف عليه،ويعترف به،وان يعتمده منهجا،ومسلكا وطريقا في قراءة التراث العربي الإسلامي...من اجل استيعاب الآليات المنتجة لهذا التراث ....

فهذه التداخلية من حيث هي منهج معتمد في قراءة التراث،تعد من ابرز الخصائص الهامة،والمميزة للعلوم في مسيرة الحضارة الإسلامية.....

-4- اثار التداخلية بين العلوم:

أ-تميز العلوم،من حيث الموضوع والمنهج:

ومما نتج عن هذا التوجه في هذه التداخلية التي كانت قائمة بين العلوم،وحاضرة بين عدد من المعارف ،هو استقلالية كل علم بمنهجيته الخاصة به،والمميزة له في موضوعه ،و بقواعده،ودعائمه،وأسسه .فكان لكل علم منهجا خاصا به،يمتلك استقلالية في جهازه المعرفي،ونسقه المفاهيمي . وهذا

[1]-الرسالة :50.

بعني أن لكل علم له من الميزة الخاصة به ،على مستوى الموضوع، وعلى مستوى المنهج، وكذلك على مستوى الجهاز المفاهيمي.

بحيث تميزت العلوم بمسالكها،وبمبادئها.وبمكوناتها وهو ما جعل أصحاب هذا العلوم،والمشتغلون بها،يقومون بتحرير المنهج المعتمد لديهم، خاصة في مقدمات مصنفاتهم، ومؤلفاتهم. وذلك بتقعيد المفاهيم المشيدة لها .وهذا ما يدل على مدى الأهمية التي اكتسبها المنهج في الثقافة العربية الإسلامية وحضوره في هذه الثقافة ،[1]فكان لكل علم منهجه الخاص،المميز له،والمتميز به عن غيره من المناهج التي تركب العلوم التراثية،...وهو ما يفسر لنا أن سؤال المنهج، والمنهجية كان من الأسئلة الحاضرة،بقوة،والراسخة بشكل واضح،في ذهن علماء الإسلام،خاصة في ما يدونون،وما في يكتبون،او في ما يؤلفون،وما يحررون ،وينجزون من بحوث. فكانوا يسيرون على ذلك المنهج،ويلتزمون به في جميع بحوثهم،وفي جميع مدراساتهم،وكان هو الجزء الأكبر في نظرتهم الكلية إلى العلوم بصفة عامة...[2].

وهذه العناية بالمنهج تعود أساسا إلى كون الثقافة العربية الإسلامية تنطلق من هذا الثابت المنهجي وهو " أن سلامة الفكر،والأفكار متوقفة على مدى سلامة المنهاج،وصحة الطرقه،والمسالك المعتمدة في إنتاج تلك المعارف..[3]...

كما أن المنهج هو الطريق الناظم للثقافة،و المميز للفكر،والموصل للمعرفة،بأسهل طريق،وبأقصر جهد،وبأقل تكلفة....

[1]-يراجع: مقدمة في المنهج للدكتور ة عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ.المقدمة1998

[2]--نظرية العبور في العلوم الإسلامية:9

[3]-نظرية الاعتبار في العلوم الإسلامية للدكتور عبد الكريم عكيوي:10.منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي السنة :2008.

إضافة إلى هذه الأوصاف،و النعوت .فان المنهج هو الطريق العاصم من أن يضل الباحث،أو أن يتيه الدارس ،أو أن يبتعد القاوئ،من أن يزل عن السبيل الموصل إلى القصد،....

من هنا فإن الإشكال المنهجي،كان حاضرا بقوة بين علماء الإسلام،يسيرون عليه في بحوثهم ودراساتهم ،ويلتزمون به فيما يكتبون،ولا يخرجون عنه في ما يؤلفون...

و الدليل على حضور المسالة المنهجية في التراث العربي الإسلامي،تلك المقدمات التي جاءت محمولة في كتب التراث.والتي تحمل خطابا صريحا حول الإشكال المنهجي،ومدى ضرورته،وحضوره في تحصيل المعارف...[1]

ومما يمكن إدراجه ضمن سؤال،وإشكال المنهج ،من حيث هو سؤال ظل حاضرا بقوة في التراث العربي الإسلامي .[2] هو تلك المقدمات المحمولة في كتب التراث،والتي تشهد لحضور هذا السؤال .إذ اعتاد القدامى التقديم لمؤلفاتهم،بخطب صريحة،وولضحة يذكرون فيها الدواعي،و يكشفون فيها الأسباب،و يصرحون بالبواعث التي دفعتهم إلى التأليف،و التصنيف في مختلف العلوم،ويبسطون من خلال كتاباتهم في هذه المقدمات،المنهج المعتمد في كتاباتهم التي التزموا بها في عرض،المادة ،وبيانها.....[3].

فالمقدمات هي خطاب صريح في استحضار الإشكال المنهجي، وبالالتزام بالمنهجي في تحصيل المعارف الذي يلتزمه المؤلف، وهو من مرجعيات

[1]-يراجع /سؤال المنهج في خطاب مقدمات الكتب للدكتور محمد عابد الجابري محلة فكر ونقد المغربية العدد:10السنة

[2]-يراجع مقالنا: سؤال المنهج في التراث الإسلامي.. ضمن كتاب مشترك: حوارات في الدين واللغة.منشورات جامعة مستغانم.

[3]-تأويل النص الشعري القديم بين التراث والمعاصرة للدكتور عادل فريحات مجلة جذورالسعوديةالعدد:188.السنة:2004.

الكتابة والتأليف في الإسلام،استغله القدماء من اجل تعريف القارئ بالمراحل التي التزموا بها في كتاباتهم،ومؤلفاتهم.

فهذه المقدمات كما قال الإمام الغزالي هي التي تجري عادة مجرى الآلات ،من حيث علاقة العلوم بعضها مع بعض،كعلم اللغة، والنحو، والبلاغة، وعلم المفردات ."فإنها آلة المعرفة في كتاب الله وسنة رسوله ".... .[1].

ومن هنا فما يقتضيه هذا الموقف،العلمي،ويستلزمه ،هو أن طلب العلوم التراثية معرفيا ،ومنهجيا يقتضي من طالبها ومتلقيها،والباحث فيها،وعنها،أن يعمل على استحضار قبلي ،وأولي لمجموعة من المعارف ،والعلوم المركبة ،والمشكلة لهذا التراث ،لكون هذه العلوم في نسقيتها ،علوما جامعة لمجموعة من العلوم الفرعية،بحيث يجمعها،ويؤلفها عدة قواسم مشتركة في مجموعة من القضايا المعرفية ،والمسائل النظرية ،خاصة ما كان من قبيل المرجعيات،والمفاهيم ،والمصطلحات التي انتقلت من حقولها المعرفية الأصلية ،التي نشأت،وتأسست فيها إلى حقول معرفية أخرى وافدة عليها ،و مستقبلة لها،وبهذا الانتقال،والعبور،قد اكتسبت ،هذه المفاهيم والمصطلحات معان مستحدثة،ودلالات جديدة. غير معهودة في حقلها الأول،وهو ما جعل هذه العلوم في مجملها،متداخلة في الوظائف،و مشتركة في المهام،و متقاسمة في الأدوار. وإن كان القاسم المشترك ،والجامع الذي يجمع هذه العلوم هو خدمتها للنص القرآني توثيقا واستمدادا وبيانا وتفسيرا.....مع الوقوف على أهم مستويات البيان المحمول في القرءان الكريم....[2]

[1]-مداخل العلوم للغزالي:46

[2]-المسائل المشتركة بين علوم القرءان وعلم أصول الفقه وأثرها في التفسير:29للدكنور فهد الوهبي.

ب-انتقال ورحلة المفاهيم:

ومن آثار هذا التداخل بين العلوم،هو انتقال كثير من المفاهيم،والمصطلحات من حقولها المعرفية الأصلية التي نشأت فيها،إلى حقول معرفية أخرى مستقبلة لها ،بحيث إن انتقال المفاهيم،والمصطلحات من حقولها الأصلية التي نشأت فيها إلى حقول أخرى،مستقبلة لها،،شكلت إحدى المسلمات بين المشتغلين بالمفاهيم في التراث العربي الإسلامي ....[1].

من ذلك أن مفاهيم،ومصطلحات الأصوليين التي كانت متداولة بينهم،فقد انتقلت هذه المفاهيم إلى علماء اللغة مثل القياس، والعلة، والنسخ،والاستحسان، والوضع والحمل،والاستعمال ...وأخذت في هذا النقل استعمالا مغايرا،ومفهوما جديدا،وخاصا، ومتميزا عند النحويين،يختلف عن المفهوم الذي كان عليه متداولا،وشائعا في السابق،ومستعملا في أصله الأول،وأعني استعماله في أصله الأول الذي في علم أصول الفقه ...[2].

لعل من أعظم المؤثرات في البحث النحوي خاصة في القرن لرابع الهجري هو علم أصول الفقه ،لقد استمر تأثير هذا لعلم في علم النحو .وهذا التأثير هو محلل اتفاق بين المشتغلين بالتراث العربي الإسلامي عامة ،وتاريخ النحو خاصة ،بحيث يمكن القول بان ما من علم من العلوم الإسلامية ترك أثره على التراث النحوي ،مثل ما تركه علم أصول الفقه،حيث انتقى النحاة أصولهم الكلية ،وأنساقهم المعرفية من علم أصول الفقه [3].

بالمقابل فان بعض مفاهيم اللغويين،ومصطلحاتهم ،انتقلت وهجرت أصلها التي نشأت فيه،وتكونت فيه،وأخذت في تداول الأصوليين،وفي

[1]-مقدمة كتاب : انتقال النظريات والمفاهيم :76 منشورات كلية الآداب الرباط العدد رقم:67.

[2]-للوقوف على مفاهيم الأصوليين،في انتقالها إلى علماء اللغة. يراجع دراسة :تمام حسان في كتابه الأصول: دراسة ابسنمولوجية.

[3]-تقويم الفكر النحوي لعلي أبو المكارك:255.

استعمالاتهم،وفي بحوثهم اللغوية مفاهيم جديدة،خاصة ،غير مسبوقة،ولا معهودة،ولا مألوفة فيما بينهم،مما أهلها إن نكتسب معان جديدة . لم تكن تلك المفاهيم معهودة بينهم مثل :الكلمة،والترادف،والاشتراك،،والحمل،والوضع ،والتباين. والمعنى الأصلي،والمعنى التبعي والسياق،والقرائن . وهذا العبور المصطلحي من علم إلى أخر نعته البعض وسماه برحلة المصطلحات والمفاهيم ...[1].

من هنا نقول إن هذه العلوم:علم أصول الفقه وعلم النحو،وعلم الكلام من أكثر العلوم تبادلا للمفاهيم،فقد انتقلت مفاهيم الأصوليين إلى النحويين.كما انتقلت مفاهيم اللغويين إلى الأصوليين. وكان من أثار هذا الانتقال أن اكتسبت هذه المفاهيم معان جديدة غير المعاني التي كانت عليها في علومها الأصلية. وهذا مؤشر قوي على مدى ضرورة التمييز بين هذه المفاهيم في الدلالة والمعنى في حقولها المعرفية الأصلية،أو في الحقول المعرفية الأخرى المستقبلة لها،والتي فيها انتقلت تلك هذه المفاهيم،لأن ضبط المفاهيم سلوك منهجي لا مفر منه في اكتساب تلك المعارف.فهو من المسالك التي ينبغي مراعاتها و الالتزام بها في البحث العلمي ....[2]

من ذلك آن مصطلح التمثيل من المصطلحات التي ذاعت،وشاعت بين المتكلمين والبلاغيين، والمناطقة.فالتمثيل هو الذي يسميه المتكلمون رد الغائب إلى الشاهد ،ويسميه الفقهاء قياسا ،و يسميه علماء البلاغة تشبيها،ومعناه أن يوحد حكم في جزئي معين واحد فينتقل حكمه إلى جزئي أخر يشبه...."[3].

[1]-المفاهيم الرحالة من علم إلى أخر لمحمد حمدوش . ضمن ندوة : قضايا المصطلح في الآداب والعلوم الإنسانية.العدد:12.السنة:2001.

[2]-في العلة وأصول النحو: الدكتور السعيد الشنوفة.مجلة عالم الفكر المجلد:36. السنة: 2007.

[3]-معيار العلم للغزالي:156.

هذا التوجه في رحلة المفاهيم ،واكتسابها لمفاهيم جديدة ،غير ما كانت عليه في حقولها الأصلية ،التي نشأت فيها ينبغي استحضاره، والوقوف عنده ،في أية مقاربة أو مدارسة،لأي حقل معرفي معين في التراث العربي الإسلامي...خاصة الحقل اللغوي والبياني،و هو الحقل الذي استثمرت فيه كثير من المفاهيم، ورحلت إليه تلك المفاهيم ذات الوجهة اللغوية،منتقلة من أصلها الأول، ومتوجهة وعابرة إلى علم أخر ...[1].

من هنا نقول إن انتقال المفاهيم والمصطلحات من حقولها المعرفية الأصلية التي نشأت فيها إلى حقول معرفية أخرى،هي من الأساسيات، والمميزات ،والمواصفات التي طبعت التراث العربي الإسلامي.و من ثم لا ينبغي التنكر،أو التغاضي، أو التقليل من اثر هذا العبور،ومن هذا الانتقال في أية مدارسة، أوفي أية مقاربة لهذا التراث...وبالأخص للمشتغلين بالتراث العربي الإسلامي في جانبها لمتعلق بالمصطلح.....

من هنا مما لا ينبغي إهماله،أو إبعاده أو مصادرته لكل من توجه أو قصد، أو أراد، أو اختار مقاربة،أو مدارسة ،أية قضية من القضايا الكبرى في التراث العربي الإسلامي،أو أراد البحث الأكاديمي في المسائل المعرفية الكبرى التي يطرحها التراث العربي الإسلامي ،في مختلف حقوله المعرفية. خاصة ما كان من قبيل البحوث التي اختارت وجهة الدراسة المصطلحية تأصيلا،وتوصيفا، وتنظيرا، وإحصاء، وجردا،ومقابلة وتحديدا ...[2]. أو تلك الدراسات التي اختارت الاشتغال على تطور المصطلح في المعجم اللغوي للغة العربية...

[1]-مفهوم المصطلح ووظائفه للدكتور عز الدين البوشيخي.ضمن أعمال ندوة : المدخل إلى الدراسة المصطلحية.الشارقة المنتدى الإسلامي ماي 2013.

[2]-يراجع مداخلتنا :الدرس المصطلحي عند الأصوليين .مداخلة قدمناها إلى مؤتمر الدراسات المصطلحية الذي انعقد بكلية الآداب بسطيف الجزائربنعمر :2012.

من هنا نقول إن انتقال المفاهيم من حقولها المعرفية،إلى حقول معرفية أخرى ،ظاهرة علمية تستحق الدرس،والعناية،والتوقف ،والمتابعة العلمية في عدد من جوانبها المعرفية،اوالمناحي ،والتخصصات العلمية... [1].

ج-الموسوعية:

ومن آثار هذه التداخلية بين العلوم،والقائمة بشكل ملفت في العلوم الإسلامية،هو حضور الموسوعية في التأليف والتصنيف،والكتابة،بحيث صنفت الموسوعات ،ووضعت المصنفات الضخمة،و المؤلفات الكبيرة في مختلف العلوم . بحيث كان العالم الواحد يشتغل بأكثر من علم .وكانت هذه الموسوعية في الكتابة والتاليف هي طابع علماء الإسلام، باختلاف مدارسهم،ومذاهبهم... وهي ميزة غالبة على اغلب علماء الإسلام.في اشتغالهم غلى التصنيف،والتأليف ،والكتابة في مختلف العلوم والفنون،دينية وغير دينية....

بحيث كان المشتغل باللغة والنحو،وعلم التصريف،وعلم المعجم عالما بعلوم الشرع،وبأشكال التاليف ،وبالفقه والتفسير،وكانت له مشاركة في الآداب،و جميع ضروب المعرفة [2]

وقد" أدى الاقتناع بتداخل العلوم ،في الممارسة التراثية،تراتبا، وتفاعلا، ونداخلا، أن اتجه التعليم والتكوين والتأليف جميعا إلى الأخذ بالموسوعية..."[3].

وهذه الموسوعية هي التي تفسر لنا أن كثيرا من علماء الكلام،اختاروا الاشتغال بعلم اللغة ،وعلم أصول الفقه،في أن واحد . ومنهم من مارس الاشتغال بالعلوم المنقولة،مع والعلوم المعقولة مثل علم المنطق،وقام بإدماجها

[1]-انتقال المفاهيم والنظريات.مداخلات ندوة كلية الآداب الرباط .المغرب العدد:76

[2]-مقدمة المحقق لكتاب تاريخ الأمم والملوك :17/1

[3]-تجديد المنهج في تقويم التراص :90

،وتأصيلها،في العلوم الماصولة،سواء في علم الكلام،أوفي علم أصول الفقه،أو في علم البلاغة،أو في علم النحو.... [1]

وهذا الاختيار العلمي ،وهذا التوجه في الجمع بين العلوم ،هو الذي يفضي بنا إلى الإقرار،والاعتراف،والتصريح بأنه يتعذر في التراث العربي الإسلامي، الفصل بين المتكلم، واللغوي، والأصولي،والمنطقي، والفقيه، فالموسوعية كانت هي السمة الغالبة، والمهيمنة في التراث العربي الإسلامي...

فهذا فإمام الحرمين الجويني،وأبو بكر الباقلاني،والقاضي عبد الجبار الهمذاني، وابو حامد الغزالي ،وأبو الحسين البصري ،والإمام فخر الدين الرازي،والإمام ابن فورك ،والإمام أبو الوليد الباجي، وابن حزم الأندلسي،وابن عبد البر النمري القرطبي ،و القاضي أبو بكر بن العربي المعافري،وابن رشد الجد،وابن رشد الحفيد... فهذه الأسماء جمعت بين الاشتغال بعلم الكلام وعلم اللغة،وعلم أصول الفقه،وعلم الفقه في آن واحد ....

من هنا نقول إن الموسوعية كانت من ابرز مواصفات التأليف،والتصنيف والطابع المشترك للكتابة عند علماء الإسلام سواء في المشرق أوفي المغرب....[2].

إن هذه الموسوعية الحاضرة في العلوم في التراث العربي الإسلامي،تعود إلى الارتباط الوثيق بين علوم اللغة وعلوم الشريعة،من الخامة المتبادلة بينهما،وهو البعد الذي يفسر لنا أن كثيرا من النحاة كانوا مفسرين، وبلاغيين، ومقرئين....[3]

[1]-الأثر الأرسطي في الأدب و والبلاغة لعباس ارحيلة:445

[2]-انتقال المفاهيم من علم الكلام إلى علم أصول الفقه.محمد بنعمر مداخلة شاركنا بيها في أعمال ندوة تراث الغرب الإسلامي في علم الكلام..مركز الدراسات ولبحوث 14-15- وجدة المغرب.

[3]- النحو العربيلعبد الراجحي:12

بل من هؤلاء العلماء من جمع بين هذه العلوم الماصولة،في التراث،والعلوم المنقولة إلى التراث. مثل: المنطق ،وعلم الحجاج . وعمل على إدماج علم المنطق في العلوم الإسلامية،من حيث ان علم المنطق،هو علم خادم لغيره من العلوم،ومسدد لها في الاستدلال،وكاشف للطرق الصحيحة من الفاسدة في هذاالاستدلال.

وممن تفرد بهذا المشروع القائم على الجمع بين العلوم الموصولة ، والعلوم المنقولة،الإمام أبو المعالي الجويني،والإمام أبو حامد الغزالي،و ابن حزم الأندلسي الأصولي والمنطقي،وابن فورك ....

وان كانت هذه الريادة،والأسبقية يبقى يتقاسمها الإمام الغزالي في المشرق،وابن حزم الأندلسي في الغرب الإسلامي. بحيث عمل كل واحد منها على تقريب القول المنطقي إلى علم الأصول الفقه،والجمع بين الممارسة المنطقية والممارسة الكلامية، والأصولية...[1].فان البعض ينسب هذه الريادة، والأسبقية ،في هذا التقريب بين المنقول المنطقي وعلم أصول الفقه إلى الأمام أبي حامد الغزالي ت505ه. في كتابه المستصفى،انطلاقا من مقدمة هذا الكتاب ... وهو الاختيار،والرأي الذي ناصره ابن قدامة المقدسي،وإتباعه من الحنابلة في كتابه الأصولي الروضة...[2]

وهذا التقريب المنطقي إلى علم أصول الفقه،تجسد في صياغة الحدود،و وبناء الاستدلالات،وصناعة التعريفات المنطقية صياغة منطقية. كان من اثاره ان كثيرا من العلوم اختارت استثمار نتائج علم المنطق، واختارت صياغة حدودها،ومسائلها ومعارفها ،صياغة منطقية على شكل قواعد كلية. وهو ما يلزم عنه ،ومن المشتغل بالتراث أن يكون طالبا، ومستحضرا ،لعلم المنطق من أجل

[1]-يراجع رسالتنا الجامعية : ابن حزم وراؤه الأصولية. رسالة بكلية الآداب ظهر المهراز فاس المغرب.

[2]-شرح مختصر الروضة لنجم الدين الطوفي :1:101

ان يستوعب النسق لمعرفي ووظائفه،واشتغاله في التراث العربي الإسلامي...،.[1].

علما أن هذا العلم ،أثار طلبه نقاشا حادا، وحوارا مستفيضا بين العلماء،خاصة في القرن الرابع الهجري في العالم الإسلامي من خلال المناظرة المشهورة بين أبي بشر متى رئيس مناطقه بغداد،وأبي سعيد السيرافي رئيس النحاة.[2].

وهي المناظرة التي كشفت، وجسدت مبدأ تباين المواقف، واختلافها، وتباينها، وتعارضها اتجاه الممارسة المنطقية...[3].

لكن مع ذلك تحقق الاقتناع والتسليم بين الباحثين والدارسين بوجود صلة قوية،وعلاقة راسخة بين المنطق وباقي العلوم الإسلامية... وهي العلاقة التي شكلت محورا للمتابعة، والمدارسة من لدن كثير من الدارسين والباحثين...[4].لان الممارسة المنطقية تحدد في تقويم العقل،وتنسديد الإنسان للنظر نحو طريف الصواب وطريق الحق...."[5]

[1]-يراجع ندوة :قضية التعريف في الدراسات المنطقية .منشورات كلية الآداب بوجدة المغرب .العدد:13-السنة:2000.

[2]-تكوين العقل العربي للدكتور محمد عابد الجابري:55.كما كانت هذه المناظرة موضوع أطروحة الدكتور طه عبد الرحمان التي قدمها إلى جامعة السربون وحللها بشكل مستفيض من اجل نيل الدكتوراه.

[3]-للوقوف على هذه المناظرة في حيثياتها يراجع:تكوين العقل العربي للدكتور محمد عابد الجابري:425.

[4]-من ذلك أطروحة الدكتور عباس ارحيلة:الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين.إلى حدود القرن الرابع.إصدار كلية الآداب الرباط العدد:40-

[5]-إحصاء العلوم :146

وقد توزعت المواقف بين الرفض ،والتبني لهذه الممارسة المنطقية من حيث التوجه،والاختيارات،خاصة من حيث استثمار هذه الممارسة في العلوم الإسلامية،خاصة في علم أصول الفقه،وعلم النحو،وعلم البلاغة،وعلم الكلام...

من هنا نقول إن هذه المصنفات ذات المنزع الموسوعي،كان من نتائجها،ومن أثارها،لزوم العالم، والباحث والدارس لها،من التمكن من أكثر من علم ،خاصة في مقاربته لأي موضوع ،أو لأية ظاهرة ثقافية، في أي نص تراثي،لان هذا النص هو في حد ذاته نتاج، وحصيلة مستخلصة من مجموعة من العلوم المتقاربة، والمتداخلة من حيث الموضوع والمنهج .وهو ما يقتضي من القارئ ،والدارس من أن يستحضر مكونات التداخلية،الحاضرة في هذا النص التراثي في جميع جوانبه ومستوياته المعرفية،القريبة منها أو البعيدة....

من هنا نقول ان الخطأ كل الخطأ أن تقرأ نصا تراثيا،أو تحقق هذا النص، أو تقارب هذا النص من احد جوانبه ،أو في احد مكوناته، من دون استحضار قبلي،لهذه التداخلية،والتكاملية التي كانت قائمة بين العلوم،والحاضرة بقوة،في العلوم التراثية،خاصة العلوم الخادمة للنص، وبشكل جلي في علوم البيان والتفسير،والاستمداد.

لان هذا النص الذي في أصل تشكيله،وتكوينه،وطبيعته نص تداخلت في تشكيله،وتكوينه مجموعة من العلوم.

د-نموعلوم في أحضان علوم اخرى:

ومما يثير الباحث،وهو يستحضر ويتابع أثار هذا التداخل أن كثيرا من العلوم نضجت وتطورت في أحضان علوم أخرى خاصة العلوم التي يجمعها وحدة الموضوع ،وتشترك في وحدة الهدف والغاية. فعلم البلاغة وعلم اللغة وعلم النحو من العلوم التي نضجت ونمت وتطورت في أحضان علم

التفسير.فكتب التفسير حافلة بمباحث اللغة وعلم الدلالة.[1]فهذا العلم اعني التفسير،فقد اجتمع فيه من العلوم ما تفرق في غيره. وهو ما يفسر لنا أن عددا من المفسرين الكبار،كانوا علماء لغة وبلاغة مثل الإمام الزمخشري،والإمام الراغب الأصفهاني،والإمام السمين الحلبي ،والإمام الفيروز أبادي،والإمام الاراغب الاصبهاني والإمام فخر الدين الرازي والإمام القرطبي والإمام ابن عطية الغرناطي،والإمام البيضاوي،الإمام ابن العربي الاشبيلي الأندلسي والإمام أبو حيان الأندلسي.....

ويعد علم أصول الفقه من ابرز العلوم التي شكلت محورا تقاطعت فيه مجموعة من العلوم،بحيث وظفت فيه عدة معارف ،واستثمرت فيه عدة مفاهيم،مما أهله لأن يكون علما جامعا بين العلوم النقلية و العوم العقلية ،وبين علوم الفهم وعلوم الاستدلال،و بين علوم الشريعة وعلوم النظر..... ...

ومن ابرز العلوم حضورا في علم أصول علم اللغة.فالناظر يجد هذه الكتب قد احتضنت في مباحثها عدة قضايا اللغة...فلقد كان لعلم الأصول الأثر القوي في احتضان المباحث اللغوية،والدلالية خاصة ما تعلق بالألفاظ في تكونها،أو في علاقتها بالمعاني من حيث ثباتها ا ومن حيث تطورها،ودور الألفاظ في حمل، واكتساب المعاني الجديدة...[2].

[1] من قبيل ذلك : ابن العربي ألمعارفي الأندلسي مفسرا لغويا للأستاذة موسي عائشة رسالة مرقونة بكلية الآداب وجدة المغرب. ا لمباحث اللغوية والنحوية في بصائر ذوي التمييز للدكتورة :وفاء عباس الدليمي جامعة بغداد :2000.-البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري لدكتور محمد أبو موسى. وقد تابع الدكتور مساعد الطيار حضور اللغة في كتب التفسير في أطروحته الجامعية الموسعة:التفسير اللغوي للقرآن الكريم دار ابن الجوزي 1422هـ.وأطروحة: قضايا اللغة في كتب التفسير: المنهج،التأويل،الإعجاز،تأليف: د. الهادي الجطلاوي.التفسير اللغوي للقرءان الكريم في لسان العرب.للدكتور حسن المشهداني دار اليمان مصر 2012.

[2] -علم الدلالة عند العرب عبد الكريم مجاهد .مجلة الأقلام العراقية العدد:3-4السنة:1993.

كما أن في مباحث المنطق نمت،وتطورت كثير من المباحث ذات المنحى اللغوي،والدلالي ،خاصة محور الألفاظ في علاقتها بالمعاني،ذلك أن الاهتمام بالمستويات البيانية في المنطق كان استجابة إلى ما تحتاجه العملية الاستدلالية من فهم،واستيعاب لمدلولات الخطاب الذي هو الأصل في الاستدلال...[1]

فالمنطق موضوعه المعاني،والمعاني لا تنكشف إلا بالألفاظ،فاضطرت صناعة المنطق أن يصير بعض أجزائها نظرا في الألفاظ..[2].

ومن المنطق يعرف الخاص من العام ،والمجمل من المفصل، وبناء الألفاظ بعضها مع بعض...[3].

5-تصنيف العلوم:

فمن أبرز آثار هذا التداخل،في التراث العربي الإسلامي،بين العلوم،ظهور علم جليل يسمي بعلم تصنيف العلوم،وهو علم يعني بتصنيف العلوم،وبترتيبها من حيث الأهمية ، والمرجعية، والمكانة ،والفائدة، والوظيفة التي تؤديها العلوم في مجتمعة أو متفرقة .ومدى خدمتها للعلوم الأخرى .و تصنيف العلوم مؤشر واضح على مدى ترابط العلوم في ما بينها، وتناسق مكوناتها،و تراتب معارفها،وعناصرها.وتوجهها نحو خدمة القرءان الكريم أساسا .....

من هنا ندرك صراحة ،بأن من أثار هذا التداخل القائم بين العلوم ،هو ظهور علم جليل يشتغل على تصنيف العلوم ،ويبين مكانتها،و ومدى الحاجة إليها،من حيث منفعتها لطالب العلم.....

وكان من أثارا الاشتغال بتصنيف العلوم،أن ترتبت على هذا التصنيف عدة نتائج، واثأر،منها:

---

[1]-يراجع أطروحة الدكتورة فاطمةالحميا ني:حروف المعاني بين المناطقة والنحاة.**منشورات** كلية الآداب الرباط العدد:57.

[2]-المنطق السينوي لجعفر ال ياسين:23

[3]-الفصل :1-44

-الاعتراف الصريح بقوة هذا التداخل القائم بين العلوم.وهو وصف مؤكد على أن من ابرز المواصفات الغالبة على العلوم في الحضارة العربية الإسلامية هو تداخلها،وتكاملها، من حيث الموضوع، والمنهج .[1].

فالتكاملية بين العلوم اعتراف صريح أن بعض العلوم يخدم بغضها البعض، ووجود علوم اصطلح عليه باسم العلوم الإلية،والمعنى هذا أن تحقيق العلوم ،واكتسابها لا يتحقق إلا بالأخذ بهذه العلوم الالية..."وذلك يكون كل علم قد دخل في علم أخر .فهو بمنزلة الآلة والمنهج....[2].

- تصنيف العلوم ،وهو علم يعنى،بترتيب العلوم ،وتصنيفها،لتأكيد من مدى وجود ترابط بينها ،والعلاقة التي تربط هذه ا لعلوم فيما بينها ،أوفي العلاقة بين غيرها من العلوم،أي حاجة بعض العلوم للبعض . وهدا مؤشر واضح،وصريح على مدى الترابط القوي ،والقائم بين العلوم...

على هذا فان ما يدل على مبدأ الشمولية والتكاملية بين العلوم هو ظهور علم تصنيف العلوم في الحضارة العربية الإسلامية،ولو"تكن العلوم متكاملة فيما بينها لما أمكن تصنيفها إلى وحدات،متنوعة ومتفرقة تشترك كلها في مجموعة من الخصائص،...".[3]

-قيمة العلوم في الإسلام تتحدد في مدى خدمتها للدين،فأفضل العلوم كما قال ابن حزم"ما أدى إلى الخلاص في دار الخلود و اوصل الى الفوز في دار الارتقاء.[4]

[1]-التداخل بين العلوم الإسلامية للدكتور ميمون بريش.مجلة بصائر الرباط العدد4-السنة:2007.

[2]-تجديد المنهج في تقويم التراث:84.

[3]-علاقة علم أصول الفقه بعلم الكلام لمحمد بن علي الجيلالي:47

[4]-رسائل ابن حزم :64/4

-تصنيف العلوم بين علماء الإسلام:

و من ثم فان من ابرز العلماء اشتغالا على تصنيف العلوم،أبو نصر الفارابي ت هـ399في كتابه إحصاء العلوم،والإمام الخوارزمي ت387ه في كتابه مفاتيح العلوم،،وابن النديم ت 438ه في الفهرست.وابن حزم الأندلسي ت426ه في رسالته "في مراتب العلوم .وابن خلدون ت808ه في المقدمة خاصة في الفصل المخصص للعلوم ،وأقسامها والإمام الشاطبي في كتابه :الموافقات.وابن رشد الحفيد في كتابه : | "الضروري في صناعة النحو"...[1]..

إن هذه المؤلفات على كثرتها،وتنوعها إحساس علمي جاد ،بمدى العناية،و الاهتمام التي اكتسبه علم تصنيف العلوم في التراث العربي الإسلامي.....

نماذج وأمثلة من تصنيف العلوم:

لقد سبق الذكر آن تصنيف العلوم لقي عناية بالغة،وكبيرة من لدن علماء الإسلام،وقد اعتمدوا على مجموعة من المعايير في هذا التصنيف.

وهي معايير تتقاسم ،وتشترك في الفائدة والخدمة التي نؤديها نلك العلوم في الدنيا والآخرة،بحيث أن قيمة العلم تتحدد فيما يؤديه من خدمة،وفائدة للإنسان المسلم في حياته الدنيا والآخرة ....[2]

إن من النماذج والأمثلة في التصنيف للعلوم،الاختيار الذي وجدناه عند أبن رشد الحفيد في كتابه الضروري في صناعة النحو. فقد أخد ابن رشد الحفيد هذا الاختيار،والتقسيم ،والتصنيف. الذي يتأسس على تقسيم العلوم إلى علوم مقصودة لنفسها ،وعلوم مقصودة لغيرها،وهي العلوم المسماة بالعلوم المسددة.قال ابن رشد الحفيد في كتابه الضروري في صناعة النحو:"إن العلوم صنفان : علوم مقصودة لنفسها،وعلوم مسددة للإنسان في تعلم العلوم المقصودة

[1]- تصنيف العلوم عند العلماء المسلمين: 41

[2]-الفرابي وتصنيف العلوم في الثقافة الإسلامية لمحمد وقيدي مجلة دعوة الحق العدد:364

في نفسها،وذاتها ..."[1]. ومن العلوم المسددة علم النحو،وعلم المنطق "فمنزلة النحو كمنزلة المنطق،علمان مسددان إلا أن الأول يسدد اللسان،والثاني يسدد العقل ،والفكر حتى لا يقع غلط فيهما ...".[2].

ومما ترتب على هذا التقسيم أن من العلوم ما هو مقصودا لذاته مثل التفسير والفقه،وعلم الحديث ،وعلم الكلام،ومنه ما ومقصود لغيره مثل النحو لعلم التفسير،وعلم أصول الفقه للفقه،وعلوم العربية لعلوم الشريعة. فهده العلوم وضعت أساسا لفهم الكتاب ،وهو القرءان الكريم،فابن رشد لحفيد يرى أن من العلوم ما هو ضروري،خاصة علم النحو،والبيان والبلاغة،" فهده العلوم ضرورية لفهم الكتاب والسنة،فهما صحيحا،من هنا كانت الحاجة ماسة،وضرورية،إليها بصفة عامة،فالعلوم تنقسم إلى علوم أصلية،وأخرى تابعة لأصلية...[3].- وقيمة العلوم تكمن في ما تؤديه من خدمات فيما بينها....

أما ابن حزم فقد صنف العلوم وقسمها،إلى اثني عشر علما،دون أن يفرق بين العلوم،من حيث المرجع ،والوظيفة،والفائدة ،أو بدون أن يضع أية مرجعية فارقية ،مميزة في هذا التصنيف،والفصل بين العلوم التي نشأت في الإسلام.،.[4].

رغم انه ينتهي أن فضل العلم وقيمته ،تكمن فيما يؤديهمن فضل ديني للإنسان.،

وهو الاختيار الذي نجده عند ابن خلدون،بحيث قسم العلوم ،إلى علوم أصلية وعلوم خادمة للأصل.أو علوم مقصودة ،وعلوم خادمة للعلوم المقصودة.وهذا التصنيف الأخير،هو التصنيف الذي اختاره،واعتمده ابن

[1]-يراجع كتاب : الضروري في صناعة النحو لابن رشد الحفيد :22

[2]-يراجع كتاب الضروري في صناعة النحو :21

[3]-المقدمة:403

[4]- تصنيف العلوم عند ابن جزم:للدكتور سالم يفوت:مجلة كلية الآداب الرباط. العدد:52. السنة:1982.

خلدون،وارتضاه في المقدمة. حيث ذكر ان من العلوم منها ما هو من العلوم المقصودة كالشرعيات ،والإلهيات ...وهناك من العلوم ما هي مقصودة لغيرها، أو هي آلة،ووسيلة لهذه العلوم المقصودة .كاللغة العربية للشرعيات .والمنطق لعلم أصول الفقه....[1] .

قال في المقدمةّ" اعلم أن العلوم المتعارف بين آهل العمران،على صنفين ،علـــوم مقصـــودة بالـــذات كالشـــرعيات،وكالطبيعيات،والإلهيات مـــن الفلسفة....وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم،كالعربية والحساب وغيرهما للشرعيات،وكالمنطق للفلسفة. وربما كان آلة لعلم الكلام وأصول الفقه على طريقة المتأخرين. فأما العلوم التي هي مقاصد،فلا حرج في توسعة الكلام فيها،وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار،فإن ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكته،وإيضاحاً لمعانيها المقصودة. وأما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية،والمنطق وأمثالهما،فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط. ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل،لأن ذلك يخرج بها عن المقصود،إذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير...[2].

ومن الآفات التي تصيب العلوم كما قال ابن خلدون هو انتقال العلوم المقصودة لغيرها إلى علوم مقصودة لذاتها ،فإذا هي "خرجت عن ذلك .خرجت عن المقصود ،وصار الاشتغال بها لغوا،فيكون الاشتغال بهذه العلوم تضييعا للعمر ....[3].

قال ابن خلدون " أما العلوم لتي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن ننظر فيها من حيث هي آلة إلى ذك الغير فقط،ولا يوسع

[1]-المقدمة :635

[2]-المقدمة:455

[3]-نفسه

فيها الكلام ولا تفرعها للمسائل .لان ذلك مخرج لها عن القصد وإنما صار الاشتغال بها لغوا ....[1].

ومن الأمثلة

6 – عدم تمثل التداخلية بين العلوم :الاثار والعواقب:

ومن آثار هذه التداخلية ،أن الباحث إذا هو لم يعمل على تمثل هذه العلاقة التداخلية القائة بين العلوم ،قان كثيرا من الوهن ،والضعف والسقوط المنهجي قد يعتري عمله.فقد عاتب ابن جزي الكلبي في مقدمة تفسيره،بعض المفسرين لأنهم تغاضوا،واغفلوا علم أصول الفقه خاصة في قسم القواعد،و ابتعدوا عن جهود الأصوليين في التفسير .ولم يستحضروا في مباحثهم في سياق تفسيرهم للقران الكريم خاصة ،ما تعلق بالقواعد اللغوية المخصصة للتفسير عامة،وتفسير النص القرآني خاصة ....[2].

وهذا العتاب ،يعود بالأساس إلى الصلة القوية القائمة بين علم أصول الفقه والتفسير. فكلاهما يشتغل على محور التفسير،والبيان والتأويل ،ويشركان في تمثل المعاني،واستمداد الدلالات اللغوية،المحمولة في النص القرآني.[3].من هنا فان الضرورة المنهجية،و العلمية ملزمة للمفسر،والقارئ في أن يستعين بجهود الأصوليين،و يستحضر بحوثهم،و يستأنس باجتهاداتهم،واختياراتهم في قراءة النص الشرعي،وتفسيره ،وان لا يتغاضى ،أو أن يتنكر عن هذه الجهود في كل عمل اتصل مباشرة بقراءة النص لان المحور الذي خصصوه للألفاظ،كان هو المحور الغالب في بحوثهم..

---

[1]–نفسه

[2]– مقدمة تفسير ابن جزي الكلبي المسمى التسهيل :3/1

[3]– يراجع أطروحة الدكتور فهد الوهبي :المسائل المشتركة بين علوم القرءان وعلم أصول الفقه وهي رسالة جامعية.

و في نفس السياق ألح ابن جزي الكلبي في مقدمة تفسيره التسهيل على ضرورة انفتاح المفسر على علم أصول الفقه،خاصة ما تعلق بالقسم اللغوي او،ما كان من قبيل القواعد المخصصة للفهم والتفسير،والتأويل. فقواعد هذا العلم آليات معينة،ووسائل مساعدة على الفهم والتأويل والنظر في النص .[1]لأنها قواعد وضعت أساسا لضبط فهم وتسديد التأويل....

والسبب في المراهنة على علم أصول الفقه،من حيث هو علم منهجي يتوخى فهم النص،يعود إلى مراهنة علماء الأصول على اللغة العربية ،واستثمارهم لمباحثها من اجل استنباط أصولهم و استمداد قواعدهم اللغوية المتعلقة بالتفسير،والبيان. لان الأصل في الاستدلال من اجل تفهم النص هو اللغة.ومن ثم فإن أساس البناء الأصولي قائم على العلم باللغة العربية في جميع مستوياتها ومكوناتها .لأنها عبارة عن منهج في الفهم و في التفسير...[2].

7-تجليات التداخلية في العلوم الاسلامية :

1- علم الكلام :

يعد علم الكلام من العلوم التي نشأت في الحضارة الإسلامية ،لأسباب اقتضاها المسار الثقافي والحضاري لهذه الحضارة،خاصة في تفاعلها مع الحضارات الأخرى،الوافدة،والدخيلة على الإسلام خاصة .وكانت الغاية من هذا العلم هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية،وإبطال أقاويل الخصوم ،ولا أدل على ذلك من هذا التعريف لعلم الكلام الذي جاء في كتاب إحصاء العلوم للفارابي إذ عرف الفارابي هذا العلم بأنه: " صناعة علم الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الأفعال المصرح بها واضع الملة ،وتزييف كل ما خالفها من الأقاويل "[3].

---

[1]-نفسه.

[2]-الدرس اللغوي عد ا لأصوليين لمحمد بنعمر:25.

[3]-إحصاء العلوم للفارابي :131.

وهو التعريف الذي اختاره أبو حامد الغزالي إذ عرف هو الاخر علم الكلام بأنه:

" حفظ عقيدة أهل السنة،وحراستها من تشويش أهل البدعة ..."[1].

وهذه التعاريف رغم اختلافها،في المضامين،والأشكال،[2]فإنها تشترك في البعد الدفاعي،والحجاجي لهذا العلم،و هنذا ما اختاره ابن خلدون في المقدمة ،وقرر أن يعرف هذا العلم بقوله:"علم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية،بالأدلة العقلية،والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف..."[3]..

وهو من العلوم التي جسدت مشاغل الحضارة الإسلامية في تفاعلها مع الحضارات الأخرى...وهو من العلوم المتأخرة في النشأة،كما قال الفارابي في كتابه الحروف،لأن الحاجة إلى الدفاع عن العقائد في وجه الخصوم،لم تكن قائمة في بداية الإسلام،وإنما نشأت الحاجة إليه، بعد امتزاج حضارة الإسلام مع الحضارات الأخرى ،و بعد أن تداخلت الحضارة الإسلامية بغيرها من الحضارات والثقافات الأخرى ، التي حملت كثيرا من عقائدها،وثقافاتها، وأفكارها إلى الحضارة الإسلامية....[4].

واختار الدكتور طه عبد الرحمان أن يصفه ،و أن يسميه بعلم المناظرة العقدي ،لأنه يحمل الصفة الحجاجية في بنائه،والدفاعية في محتوياته ...[5].

---

[1]-المنقذ من الضلال :16.

[2]-للوقوف على هذه التعاريف يراجع:نحو رؤى نقدية لدعاوي التجديد في علم الكلام لعبدالقادر بطار.ضمن كتاب:الاجتهاد والتجديد في الشريعة الإسلامية.منشورات مركز الدراسات وجدة.

[3]-المقدمة لابن خلدون:400.

[4]-كتاب الحروف للفارابي :129.

[5]-في أصول الحوار وتجديد علم الكلام لطه عبد الرحمان :8

وهو ما جعل علماء الكلام يستفيدون من مباحث المناطقة المسلمين..[1].

من حيث تسخيرهم للآليات الحجاجية الحاضرة في علم المنطق. فهو من العلوم التي تأثرت،بغيره من العلوم،وأثرت على غيره من العلوم الأخرى،خاصة التي تشكلت في الحضارة العربية للإسلامية.لان علم الكلام كان هوا لعلم الأصل،بحيث كان ينعت بأصول الدين....والعلوم الأخرى كانت فروعا له،وهو ما جعل البعض ينعتها بعلوم الفروع....فهو أصل لعلم الأصول...

ومن ابرز العلوم التي تداخلت مع هذا العلم ،علم اللغة، وعلم الدلالة،وعلم المنطق والحجاج....

2 - علم التفسير

إن علم التفسير هو اشرف العلوم وأهمها،لان المفسر يسعى إلى بيان مراد الله تعالى من آياته،ومن كتابه،حسب الأصول،والضوابط المعتمدة بين المفسرين...

لقد كان القرءان هو المنطلق الأول للشمولية،والتكاملية بين العلوم التراثية،لان الفهم والتلقي لهذا النص،وفهم دلالاته،و سبر أغواره يستلزم تكاملا معرفيا بين مجموعة من العلوم المشتغلة على الفهم والبيان،والاستمداد لأنه نص،في أصله،وفي مرجعيته نص عربي ،نزل في ثقافة تعبر عن نفسها بواسطة اللغة العربية،وهو بهذا الأصل،والوصف هو نص تتجاذبه مجموعة من المعارف،و تتقاسمه مجموعة من العلوم،باعتبار أن القرءان كان هو المحرك الأساسي وراء النهضة العلمية التي عرفها،وشهدها العالم الإسلامي،والمحفز من وراء نشأة عدد كبير من العلوم العربية والإسلامية،وعلى رأسها علم التفسير...

[1]- أصول الفقه عند ابن الفرس ومنهج إعماله في التفسير من خلال كتابه أحكام القرآن"،تقويم التراث:269.

فعلم التفسير يعد من أعظم العلوم مقدارا ،وارفعها شرفا،ومنارا،واجلها نظرا،واعظمها اثرا... و هو رأس العلوم كلها،[1].لان موضوعه هو القرءان الكريم،فشرف علم التفسير مستمد من شرف موضوعه الذي هو بيان المعاني في القرءان الكريم...

قال ابن الجوزي القرشي البغدادي "لما كان القرءان العزيز اشرف العلوم،كان الفهم لمعانيه أوفى الفهوم ،لان شرف العلم بشرف المعلوم..."[2].

ومما يدل على تداخلية علم التفسير مع غيره من العلوم،ما قاله أبو حيان في البحر في شان اشتغال العلوم على القرءان الكريم " هو المقصود بالذات .

وغيره من العلوم له كالأدوات.وهو العروة الوثقى والحبل المتبين.."[3].

إن هذا العلم هو الأخر جسد مبدأ التداخل القائم بين العلوم التي كانت حاضرة في التراث العربي الإسلامي ،ويظهر مبدأ هذا التداخل والتكامل في التعريفات التي أعطيت لعلم التفسير،وهي تعريفات تراهن،على مبدأ التداخلية القائمة بين علم التفسير،وغيره من العلوم الخادمة للقرآن الكريم،وهي العلوم التي نشأت لغاية خدمة هذا القرءان الكريم الذي هدفه ،والقصد منه هو بيان كلام الله....

-تعريف علم التفسير

فقد ذكر أبو حيان الأندلسي ت745هـ في مقدمة تفسيره البحر أن علم التفسير هو":علمٌ يُبحثُ فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن،ومدلولاتها،وأحكامِها الإفرادية والتركيبيَّةِ،ومعانيها التي تُحمل عليها حالَ التركيبِ،وتتمان ذلك...[4].

[1]-تفسير البيضاوي:4/1

[2]-زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي:11/1:1

[3]-البحر المحيط :10/1

[4]-نفسه

وعلى هذا التعريف سار كثير من المفسرين،حيث كانوا ا يراهنون على أن عملية التفسير لكتاب الله،لا تستوي في مستوياتها،و لا تستقيم في مكوناتها،و لا تنضبط عناصرها ،إلا باجتماع والتحام ،مجموعة من العلوم التي لها صلة مباشرة بصناعة المعنى .واستمداد الدلالة من النص القرءاني ...

-التداخلية في علم التفسير

ومما قرره الإمام البيضاوي في مقدمة تفسيره:إن علم التفسير لا يليق لتعاطيه والتصدي والتكلم فيه،إلى لمن برع في العلوم الدينية كلها أصولها،وفروعها..." .[1].

هذا الاختيار هو الذي يملي علينا القول بان علم التفسير من العلوم الجامعة لعدد من العلوم،من لغة وبلاغة،وتصريف،وعلم القراءات ،وعلم الدلالة،وعلم أصول الفقه،وعلم أصول التفسير،وعلم المعجم ...بحيث اجتمع في هذا العلم- علم التفسير- من العلوم ما تفرق في غيره من العلوم. وهو ما يفسر،لنا أن عددا كبيرا من المفسرين كانوا يشتغلون على اللغة والبلاغة، وعلى علم أصول الفقه،وعلى علم المعجم... وهو ما رشح كتب التفسير أن تحمل ،ونحتفظ بعدد كبير من النقول اللغوية، والشواهد البلاغية والدلالية التي ضاعت نصوصها،وأصولها في مظانها ،وأصولها الأصلية،وظلت هذه الكتب محتفظة بها،ومعوضة لها وهو ما يمنحها قيمة معرفية وعلمية كبيرة...

وهذا يعني أن الكتب التي تعد من قبيل الأمهات احتفظت لنا بكم كبير من النقول ،وهي النقول التي ضاعت، وغابت في كتبها الأصلية...

فمثلا تفسير الطبري وهو موسوعة في التفسير ،احتفظ لنا بمادة نحوية كبيرة،ضاعت بعض أصولها في مظانها الأصلية....

إن البعد الموسوعي لعلم التفسير ،هو ما يفسر لنا أن عددا كبيرا من المفسرين كانوا هم علماء لغة،وبلاغة مثل الإمام الزمخشري،والإمام الراغب

[1]-مقدمة تفسير البيضاوي:10/1.

الأصفهاني،والإمام السمين الحلبي ،والإمام الفيروز أبادي ،والإمام فخر الدين الرازي والإمام القرطبي والإمام ابن عطية الغرناطي ،والإمام البيضاوي،والإمام ابن العربي الاشبيلي الأندلسي والإمام أبو حيان الأندلسي.....

-3-علم أصول الفقه:

يعد علم أصول الفقه من أهم العلوم التي جسدت مبدأ التداخل ،و التواصل ،والتكامل بين العلوم,والسبب يعود إلى نسقية هذا العلم،ومعياريته في بناء القواعد،وتشييد الضوابط ،وصناعة الاستدلالات ،وتركيب البراهين ،.ذلك أن علم أصول الفقه هو في بنائه العام " يظهر بمظهر نسق من العلوم. لم تدخل فيه شعب العلوم الإسلامية،وحدها.بل دخلت فيه أيضا العلوم العقلية المنقولة والدخيلة، على الثقافة العربية الإسلامية،والوافدة عليها،من ثقافات أخرى...[1].

وقد تحدث ابن خلدون في المقدمة عن علم أصول الفقه فقال" اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية ،وأجلها قدرا ،وأكثرها فائدة،وهو النظر في الأدلة الشرعية،من حيث تؤخذ منها الأحكام،...".[2]..

واعتبره ابن خلدون علم أصول الفقه،من العلوم المستحدثة في الملة،حيث لم يكن المتقدمون في حاجة إليه...وإنما نشأت الحاجة إليه بعد فساد الألسنة ،واختلاط المسلمين بغيرهم من أهل الديانات الأخرى...

وهو في نسقيته الداخلية علم منهجي كاشف لطرق الاستدلال،ومسدد لفهم النصوص الشرعية،فهو يعكس مدى اشتغال علماء الإسلام واهتمامه ،بالمسالة المنهجية في العلوم،وعنايتهم البالغة بالعلوم في مستواها المنهجي،حيث كان لكل علم منهجه الخاص به،والمميز له....[3].

---

[1]-تجديد المنهج في تقويم الثرات :23

[2]-المقدمة :583.

[3]-نظرية الاعتبار في العلوم الإسلامية:9

ها البعد المنهجي لعام أصول الفقه هو الذي جعل بعض الدارسين ينعتون هذا العلم بالمنهجية التشريعية..[1]

من جانب أخر فعلم أصول الفقه هو آلة لعلم الفقه،فتحصيل الفقه يتوقف على التمكن من علم أصول الفقه،وهذا يعني آن كثيرا من العلوم كانت الة لغيرها من العلوم...[2].

♣ موضوع علم أصول الفقه:

إن علم أصول الفقه من حيث علم مركب من مجموعة من العلوم ،فإن موضوعه العام ،والأساسي هو الاستنباط ،والاستدلال على الأحكام الشرعية ،واستجلاء دلالة الخطاب.وهذا العمل لا يتأتى ،ولا يتيسر إلا بفهم النص الشرعي ،فهما سليما ،ومنضبطا تقره ضوابط اللغة العربية في الأداء،والإبلاغ ،وتشهد له أعرافها في التخاطب ،و وتؤسسه أصولها،وسننها في التعبير،والأداء ،والإبلاغ...

ولقد قرر اللغويون، وعلماء الأصول،أن سبب الخطأ في العلوم الشرعية وعدم إدراك معاني الوحي إنما يعود،ويرجع إلى ضعف الاهتمام باللغة العربية،والقصور في امتلاك ناصيتها،و عدم التمكن من علومها،المتفرعة عنها، أو المركبة لها . يقول ابن جني العالم اللغوي في هذا الموضوع :"وذلك أن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها،وحاد عن الطريقة المثلى إليها،فإنما استهواه، واستخلف حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة"([3])....

وهذه الحاجة إلى اللغة من اجل تشييد مناهج الفهم،وأشكال التلقي،وعناصر الاستمداد التي هي موضوع علم أصول الفقه نبقى

[1]-مقدمة المحقق الدكتور عبد المجيد التركي لكتاب إحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد الباجي:123

[2]-تجديد المنهج في تقويم التراث:84

[3]-الخصائص لابن جني :345/3

ضرورية،بحكم توقف الاستدلال،والاستنباط على تفهم النص الشرعي الذي هو موضوع علم أصول الفقه...

من هنا فقد أراد لعلم أصول الفقه،مؤسسه الإمام الشافعي ت204ه أن يكون علما مسددا،وخادما لفهم النص ،ومعينا على الاستدلال للأحكام الشرعية،انطلاقا من تفهم النص .فهو منهج قائم بذاته ،جامع بين النقل والعقل ، وبين النص والاجتهاد...فهو يزاوج بين الرأي والنص.ويستمد مكوناته ومرجعياته،وآلياته من مجموعة من العلوم التي تشاركه في الموضوع،وتتقاسم معه المنهج .وتتداخل معه الجهاز المفاهيمي.

وهو علم جسد التكامل بين العلوم بقسميه الداخلي والخارجي .من هنا نقول أن علم أصول الفقه الذي يظهر بمظهر نسق من العلوم،لم تدخل فيه شعب العلوم الإسلامية وحدها. بل دخلت فيه أيضا مجموعة من العلوم العقلية المنقولة من الثقافات ،والحضارات الأخرى والتي لها قرابة معرفية ،أو صلة منهجية مع علم أصول الفقه....."[1]

ولقد رد الدكتور طه عبد الرحمان بقوة على من استصغر هذا العلم،أو هو قلل من شأنه أومن قيمته العلمية،و مكوناته المعرفية لان القضايا والمباحث والإشكاليات الكبرى ،التي استحضرها علماء هذا العلم ،لا يستطيع استحضارها الباحثون اليوم....

كما اعتبر الدكتور مهدي فضل الله ،إن علم أصول الفقه،هو منهج دقيق."انه منهج لا يعادله أي منهج أخر،في دقته وتماسكه،ومرونته ،وقدرته على الخوض في مختلف موضوعات الشريعة ،والوصول فيه إلى حلول اجتماعية إنسانية....."[2].

[1]-تجديد المنهج في تقويم التراث:32

[2]العقل والشريعة للدكتور مهدي فضل الله:13.

من هنا كان لعلم أصول الفقه مشاركة مع علم التفسير ،لان الجامع بينهما هو البيان والتفسير للنص القرءاني .قال ابن جزي :"أما علم أصول الفقه،فإنه من أدوات تفسير القرآن،وإنه لنعم العون على فهم المعاني وترجيح الأقوال،وما أحوج المفسر إلى معرفة: النص،والظاهر،والمجمل، والمبين،والعام،والخاص، والمطلق، والمقيد،وفحوى الخطاب،ولحن الخطاب،ودليل الخطاب،وشروط النسخ،ووجوه التعارض،وأسباب الخلاف،وغير ذلك من علم الأصول..."[1].

وذكر ابن عاشور علاقة علم الأصول بالتفسير فقال: :"وأما أصول الفقه فلم يكونوا يعدونه من مادة التفسير،ولكنهم يذكرون أحكام الأوامر والنواهي والعموم وهي من أصول الفقه. فعلم الأصول يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها فهو آلة للمفسر في استنباط المعاني الشرعية من آياته...." [2].

ومما يجب ذكره في سياق حديثنا على المنهج الأصولي مقوماته في قراءة النص الشرعي ،هو تزايد الاهتمام بهذا المنهج في مكوناته وأسسه وضوابطه وقواعده،بين الباحثين في الآونة الأخيرة .بحيث ظهرت عدة دراسات وأبحاث،ومصنفات حاول فيها أصحابها تشخيص مكونات هذا المنهج. وإجراء مقارنة بين هذا المنهج والمناهج المعاصرة المهتمة بمشاكل القراءة وتحليل الخطاب والتفسير والتأويل.وهي مقارنة تتوخى القائمون بها ،إدراك نقط التقاطع و محاور التلاقي والاشتراك بين المنهج الأصولي والمناهج المعاصرة التي تشتغل على محور القراءة والتفسير والتأويل....

♣ مراحل علم أصول الفقه:

1 - لقد ذكر ابن خلدون في سياق حديثه عن علم أصول الفقه ،بان علم أصول الفقه،مر بعدة مراحل،وقطع عدة أشواط.ويمكن التمييز بين مرحلتين أساسيتين في تطور هدا العلم :

[1]-مقدمة تفسير ابن جزي:10/1

[2]-مقدمة تفسير ابن عاشور:23/1

1-مرحلة الإمام الشافعي ت 204ه،حيث كانت مباحثه مركبة من العلوم الأصلية،وهي العلوم النا صولة،غير الدخيلة .

2 -مرحلة الإمام الغزالي ت505ه،وابن حزم .وتعد هذه المرحلة من أبرز المراحل التي قطعها هذا العلم في مساره التاريخي الطويل،وفي تطوره ،وفي تداخله،وامتزاجه مع علم المنطق خاصة...

لقد أراد الإمام الغزالي أن يكون المنطق مقدمة لعلم أصول الفقه،وأراد ابن حزم للمنطق أن يكون أداة منهجية بعين الفقيه على الاستنباط،وعلى تخريج القضايا التشريعية...فضلا عن مهامه البيانية والتفسيرية للخطاب الشرعي....[1].

-تركيب واستنتاج :

إن مفهوم التداخلية بين العلوم كان من ابرز المفاهيم التي يجب الاستعانة بها في قراءة التراث العربي الإسلامي،من اجل تمثل و فهم الآليات المنتجة لهذا التراث،أو من اجل فهم ما تعلق بنشأة العلوم المؤسسة لهذا التراث .،سواء في المضامين الكبرى،لهذا التراث.... أو في الاليات المحمولة،والمنتجة لهذا التراث،أو في تمثل المحتويات المركبة له..

ومن ثم فان في أية مقاربة لهذه المضامين ولهذه العلوم،،سواء في المحتويات المركبة للنص التراثي في بنائه الداخلي، أوفي بنائه الخارجي،فانه يجب استحضار قبلي لهذا المعطى العلمي التداخلي القبلي الحاضر في العلوم التراثية، والذي كان قائما،وحاضرا بين العلوم .فهو حاضرا بشكل جلي في النسقية المشيدة لعلوم التراث العربي الإسلامي.

وهذا التوجه القائم على تأسيس العلوم على البعد التداخلي. هو الذي استقر عليه الباحثون مؤخرا في مدارستهم،للتراث،أو في مقاربتهم للعلوم في هذا التراث العربي الإسلامي... لقد ولى الزمن، وانتهى العهد الذي كان الباحث يتعامل مع التراث وكأنه عبارة عن قطع متباعدة ومتناثرة،وأحيانا متصارعة، ومتنازعة.

[1]-الأثر المنطقي للدكتور عباس ارحيلة:553.